ولكن هاهنا شيء يجب معرفته ورعايته.. هذا الشيء هو انه ليس كل التعظيم وكل السجود
تعظيما يجب أو يصح ان يعرف للمخلوق حتى من الانبياء والصالحين وغيرهم بل من ذلك ما هو حق
لغير الله كفر واشراك برب العالمين ومنه ما هو حق لغيره تعالى ضلال واثم مبين... فالسجود
للانبياء والاولياء والمشايخ قد يسمى تعظيما وقد يكون ازيد؟ فاعل التعظيم
حقيقة وقد يكون كذلك لغة أو عرفا أو لغة وعرفا ولكن من يقول من المسلمين: ان السجود
لغير الله يجوز في الشرع وان تعظيم الانبياء والاولياء مطلوب شرعا؟ وكذلك يقال في غير
السجود من الركوع والصلاة والذبح والنذر والحج الى القبور والطواف بها والعكوف
عليها وغير ذلك من انواع العبادة التي فرضها على الناس كافة ان يجعلوها
لله وحده لا شريك له... وهذا ظاهر جلي. فاذا علم قيل هؤلاء ان ما ذكرتموه صحيح وهو
أن البناء على القبور ووضع القباب والمساجد فوقها من التعظيم ايضا لكن ما دليلكم على ان هذا
التعظيم من التعظيم الجائز الشرعي؟ وما برهانكم على انه ليس من التعظيم الممنوع المحرم الذي
حرم الشرع يعاقب عليه ويؤاخذ فاعله؟ لا بد من دليل والا فلا يقبل لان التعظيم كما
بينته منه ما هو جائز شرعي فقط ومنه ما هو محرم ممنوع بل ومنه ما هو كفر واشراك
بالله ومعرفة الامرين يرجع فيها الى نصوص الشريعة والى كتابها وسنتها فهذه
الحجة اذن واضحة البطلان. ولا شك ان الذين عبدوا الملائكة وعبدوا الانبياء والصالحين
انما كان مرجع عبادتهم لهم واشراكهم بهم الى تعظيمهم اياهم وغلوهم في ذلك. فالتعظيم اذن
قد يكون حقا بامر الشرع واشرطه وقد يكون وسيلة من وسائل المشركين كما قد يكون
حسنا مثابا عليه مأمورا به والشريعة هي الفيصل في هذه الامور التي يكون فيها الالتباس
ويكثر فيها الاشتباه والابهام

الثالث: هذه الحجة لا يمكن ان تكون صحيحة ايضا. وذلك لانه مخالف للاحاديث المتقدمة
المتواترة لما بعد، انها نهي عن البناء على القبور فان الرسول صلى الله
عليه وسلم لا يمكن ان ينهى عما هو تعظيم مأمور به وعما هو تعظيم لشعائر الله التي تعظيمها من تقوى
القلوب فمن زعم بان البناء على القبور من التعظيم للانبياء والصالحين المأمور به أو زعم انه من تعظيم
شعائر الله المأمور بتعظيمها فقد ذهب الى ان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى عن هذا التعظيم
المأمور به، وهذا شيء لا يذهب اليه مسلم ولا يقول به مسلم بل لو كان ذلك كذلك لامر بالبناء
على القبور ولشدد في الامر حتى ليبادروا الى العمل بامره فيبني على قبور الصحابة وآل البيت الذين توفوا
قبله ويبني على قبور من علم قبورهم من الانبياء والصالحين... ولكن كلا انه لم يأمر بذلك
ولم يفعله بل نهى عنه وشدد النهي واغلظ فيه كما تقدم. وهذا كله لا يلائم هذه الحجة التي ذكرها
المخالف ولا يجامعها البتة

الرابع: ان القبور فضلا عن البناء عليها ليست من شعائر الله حتى يدعى
بان تعظيمها من تقوى القلوب او من التعظيم المأمور به بل القبور ضرورة من الضرورات التي
احتاج اليها الانسان المؤمن وغير المؤمن والمسلم ومن ليس مسلما. ليست من خصائص
المسلمين ولا من اعمال الايمان والدين وليست عملا يثاب عليه ولا هو متعلق به
الثواب او العقاب او الصلاح والفساد وانما هي كسائر ضرورات الانسان مثل الاكل والشرب
وامثالها ومن اتخاذ المساكن التي هي تقي الحر وتقي البرد. ومن يدعي بان الاكل والشرب
أو ان اتخاذ المساكن والبيوت من شعائر الله التي تعظيمها من تقوى القلوب. واذا لم تكن هذه
الاشياء من شعائر الله لم تكن القبور فضلا عن البناء عليها من شعائر الله بلا ريب
واذا لم تكن من شعائر الله لم تصح هذه الحجة القائلة ان تعظيمها من تعظيم شعائر الله